

الفلسفة الوجودية وانعكاساتها على مسرحية الذباب لسارتر

Existentialism and its Reflections on Sartre's Play "The Flies"

د. بوشيك عبد الرحمن¹¹ جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، bouchikhdahmane@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/05/28 تاريخ القبول: 2024/10/13 تاريخ النشر: 2024/12/26

الملخص:

تتناول الفلسفة الوجودية، بوصفها أحد التيارات الفكرية البارزة في القرن العشرين، قضايا حرية الفرد، والمسؤولية، والسعي نحو المعنى في عالم غير مستقر. تجسّد مسرحية "الذباب" لجان بول سارتر هذه المفاهيم بعمق، حيث تعكس الصراع الداخلي للشخصيات في مواجهة أفعالها ونتائجها. تدور أحداث المسرحية حول شخصية أوريسست الذي يعود إلى وطنه بعد غياب طويل، ليجد نفسه محاطاً بتوقعات المجتمع وضغوط العائلة. يستعرض سارتر مفهوم "الحرية" من خلال خيارات أوريسست، الذي يتعيّن عليه تحمّل مسؤولية قراراته في عالم مليء بالعبث والفوضى.

تسلّط المسرحية الضوء على فكرة "الوجود يسبق الجوهر"، حيث يتوجب على الشخصيات تشكيل هويتها ومعناها الخاص بعيداً عن القيم المطلقة. من خلال هذا الصراع، يستكشف سارتر الأبعاد الأخلاقية للفلسفة الوجودية، مُظهرًا التوتر بين رغبة الفرد في الحرية والخوف من العواقب.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة الوجودية؛ المسرح؛ جان بول سارتر؛ الأدب والفن؛

مسرحية الذباب.

Abstract:

The existentialist philosophy, as one of the main intellectual trends of the 21st century, tackles issues like individual freedom, responsibility, and pursue of meaning in an unstable world. Sartre's masterpiece "The Flies" deeply incarnates these principles, as it reflects the internal struggle of the

characters in facing their actions and their consequences. The events revolve around Orestes, who comes back to his country after a long absence. He finds himself surrounded by the society expectations and family pressures. Sartre presents the concept of freedom through Orestes choices, who must take responsibility of his decisions in a world full of chaos and absurdity. The play sheds light on the notion of “existence precedes the essence”, as the characters must shape their identities and meanings far from the absolute values. Through this struggle, Sartre discovers the ethical dimensions of existentialism, showing the tension between the individual desire for freedom and fear of the repercussions.

Key Words: Existentialism; Theater; Jean Paul Sartre; Literature and Art; Play “The Flies”.

المؤلف المرسل: د. بوشيك عبد الرحمان، bouchikhdahmane@gmail.com

مقدمة:

كان للوجودية التأثير الأكبر على المسرح، ورأى فيها الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر (1905-1980) Jean-Paul Sartre، لكونه يعتقد أنّ الأدب إلّ التزام، ورسالة ومسؤولية؛ ومن ضمن هذا السياق تأتي مسرحية الذباب Les Mouches كخير برهان على إلّ التزام سارتر وجراته، ودوره في حث همم الفرنسيين، ومحاربته لليأس والاستسلام. وقد تناولت المسرحية مسألة الحرية والمسؤوليات المرتبطة بها، ومسألة عدم اليأس وعدم الندم؛ فلا وجود لقدر: فالإنسان إما أن يرتضي بالعبودية، وإما أن يسعى نحو الحرية.

تعرض المسرحية لفلسفة سارتر الوجودية، وتحديدًا قضية الحرية والإرادة الإنسانية، من خلال قصة استلهمها سارتر من التراث اليوناني القديم، وهي قصة إلّكترا Electre الشهيرة. وقد استطاع سارتر فعلاً أن يجعل هذه الأسطورة ذات صلة بالحياة الواقعية، واستطاع أن يعالج بعض أهم الإشكاليات، والأزمات الإنسانية التي كانت موجودة في حينه. وعلى إثر هذا التقديم نطرح التساؤل الآتي: إلى أي مدى تأثرت مسرحية الذباب لجان بول سارتر بأفكار الفلسفة الوجودية؟

تكمن أهداف البحث فيما يأتي:

- التعرف على الفلسفة الوجودية ومبادئها، وانعكاساتها على مسرحية الذباب.
- ابراز مكانة العمل الفني الذي قدمه سارتر في مسرحية الذباب، ضمن فكره الفلسفي الوجودي.

أما بالنسبة إلى المنهج المستخدم في هذه الدراسة، فهو المنهج الوصفي التحليلي، الذي يسهم في تحليل الظاهرة المسرحية.

توجد العديد من الدراسات السابقة التي تناولت الوجودية ومسرحية الذباب Les Mouches لجان بول سارتر، وهي في غالبيتها تستكشف تأثير الفلسفة الوجودية في مسرحية الذباب، وتجسيد الشخصيات للصراع الوجودي. ونذكر من هذه الدراسات:

1. الوجودية منزع إنساني لجان بول سارتر (ترجمة محمد نجيب عبد المولى): يستعرض الكتاب أفكار سارتر حول فلسفة الوجودية، مشيرًا إلى كيفية ارتباطها بالحرية الفردية والمسؤولية، حيث يتناول كيفية تشكيل الأفراد لمعانيهم في عالم مليء بالعنصرية.
2. الوجودية لجان ماكوري (ترجمة إمام عبد الفتاح إمام): يقدم الكتاب دراسة شاملة لفلسفة الوجودية، ويتناول أيضًا تأثيرها على الأدب والمسرح، بما في ذلك أعمال سارتر. يُحلل كيف تجسد هذه الفلسفة الصراعات الداخلية للأفراد.
3. مسرحيات سارتر (ترجمة سهيل إدريس): كتاب يحتوي على ترجمات لمسرحيات سارتر، مع تحليل للمواضيع الفلسفية والمفاهيم الوجودية الموجودة فيها. يركز الكتاب على كيفية تعبير الشخصيات عن صراعاتهم من خلال حواراتهم وأفعالهم.
4. مسرحية الذباب (ترجمة حسين مكي): نجد في هذا الكتاب ترجمة مباشرة لمسرحية "الذباب"، مع شروحات وملاحظات تتعلق بالسياق الفلسفي والاجتماعي للمسرحية. يوضح كيف أنّ الأحداث والشخصيات تعكس الأفكار الوجودية.
5. تجليات الفلسفة الوجودية في المسرح العربي لأحمد مجدي فرج محمود: يتناول المقال تأثير الفلسفة الوجودية على المسرح العربي، ويستعرض تأثير الكتابات المسرحية العربية

بأفكار سارتر. يتضمن تحليلاً لأعمال مسرحية عربية تُظهر التأثير الوجودي، مثل مسرحية (1964) الباب لـ غسان كنفاني، ومسرحية القبة والنبى (1967).

تناولت هذه الدراسات انعكاس الوجودية في مسرحية سارتر، حيث يُعتبر أوريست تجسيداً لفكرة الحرية المصاحبة للمسؤوليات الأخلاقية، وتمثل شخصيته (أوريستيس) موضوعاً لتحليل الصراعات النفسية التي يعيشها. بالإضافة إلى دراسة دور كليتمنسترا بوصفها ممثلةً للسلطة والمأساة.

كما بحثت هذه الدراسات تمثّل المسرحية للسياق الاجتماعي والسياسي لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وتأثير هذه الأحداث على الأدب والفن. فضلاً عن دراسة الرموز المستخدمة في المسرحية (مثل الذباب كرمز للذنب والماضي)، ومدى تجسيد هذه الرموز للصراعات الداخلية بين الشخصيات.

1. مفهوم الوجودية:

تحتوي الحياة، بما تحمله من غموض وتعقيدات، على أسرار قد يتجاوز فهمها قدرة العقل البشري. ومن هنا، برزت الفلسفة الوجودية كأحد المجالات الفكرية الحديثة التي تسلط الضوء على الصراع الداخلي والتناقضات التي يعيشها الإنسان. سنسعى في هذا السياق إلى توضيح مفهوم الوجودية.

الاشتقاق اللغوي: الفعل ex-sist أو موجود (من الفعل اللاتيني Ex-sistere) يعني في الأصل "تبرز stand out" أو تظهر، لذلك من المحتمل أن يكون لهذا الفعل دلالة أكثر إيجابية مما هو عليه الآن. إنّ وجود شيء ما يعني أنه "ينبثق emerge" أو يخرج من سياق ما ليصبح شيئاً موجوداً بالفعل. ولو عبرنا عن هذه الفكرة بشكل أكثر فلسفية لقلنا إنّ معنى "الوجود" هو "الخروج" من العدم...¹.

ويعرف سارتر "الوجودية أنها فلسفة متفائلة لأنها في جوهرها فلسفة تتيح للناس أن يواجهوا أنفسهم، وأن يكونوا أحراراً، وأن يختاروا لأنفسهم ما يريدون"². ويقول أيضاً "أنني أفهم الفلسفة الوجودية كمذهب يجعل الحياة الإنسانية ممكنة، مذهب يؤكد كذلك أنّ كل حقيقة، وكل عمل، يستلزمان بيئة معينة وذاتاً إنسانية"³.

يرى البعض أنّ الوجودية تمثل نمطاً من التفكير أو "أسلوباً فلسفياً ينطلق من الإنسان بدلاً من الطبيعة. فهي فلسفة تركز على "الذات" أكثر من تركيزها على "الموضوع"⁴، حيث تغوص الوجودية في أعماق النفس البشرية، وتسلب الضوء على تحليل الوجود والأشياء الموجودة، مع اهتمام خاص بالقضايا النفسية والأخلاقية والسياسية المرتبطة بالواقع الإنساني.

للوصول إلى تعريف شامل ومحدد للوجودية وميزاتها، يمكن القول إنّ هناك خمسة مواضيع أساسية يتناولها الفلاسفة الوجوديون بأسلوبهم الفريد. بدلاً من حصر "الوجودية" في تعريف ضيق، يمكن تحديدها من خلال التشابه والتداخل بين الموضوعات التي يتناولها هؤلاء الفلاسفة:

- (1) **الوجود يسبق الجوهر:** ما تمثله (جوهرك) هو نتيجة لخياراتك (وجودك) وليس العكس. الجوهر ليس هو القدر؛ بل أنت من تحدد ما ستكون عليه.⁵
- (2) **الوقت هو جوهر وجودنا:** نحن كائنات مرتبطة بالزمن بشكل أساسي. وعلى عكس الوقت القابل للقياس بواسطة الساعة، فإنّ الوقت الذي نعيشه له طابع كفي؛ فالمصطلحات الزمنية مثل "ليس بعد" و"بالفعل" و"الحاضر" تحمل معانٍ وقيماً مختلفة⁶.
- (3) **الوجودية فلسفة إنسانية،** حيث تركز على استكشاف الهوية والمعنى في ظل التحديات الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه العديد من الشعوب. ورغم أنّها لا تتعارض مع العلم، إلا أنّ اهتمامها ينصب على كيفية التوفيق بين التقاليد المختلفة⁷.
- (4) **الحرية والمسؤولية:** تُعتبر الوجودية فلسفة تركز على مفهوم الحرية، حيث تتيح لنا الفرصة للتوقف لحظة والتأمل في أفعالنا في حياتنا. ومن هذا المنطلق، نتّمكن دائماً من تجاوز أنفسنا. ومع ذلك، فإنّ حريتنا تأتي مع مسؤولية كبيرة.
- (5) **تُعتبر الاعتبارات الأخلاقية من الأمور الأكثر أهمية:** على الرغم من أنّ كل فيلسوف وجودي يفسر الأخلاق، مثل مفهوم الحرية، من منظوره الخاص، إلا أنّ اهتمامه الرئيسي يكمن في دفعنا للتفكير في مجتمعنا والظروف الاجتماعية المحيطة به⁸.

2. مبادئ الفلسفة الوجودية عند جان بول سارتر:

تجسّد مسرحيات سارتر الأفكار الجوهرية التي نشأت وتطورت منها الفلسفة الوجودية. الشخصيات التي اختارها سارتر لتجسيد النموذج الوجودي في أعماله تعتمد بشكل رئيس على مبدأ الحرية، الذي يُعتبر الجانب الإيجابي في فلسفته. حيث يؤكد سارتر أنّ "الإنسان يتمتع بحرية مطلقة في خياراته، دون أن تتدخل أي قوة خارجية تعيق هذه الحرية، مما يتيح له ترجمة أفكاره إلى أقوال وأفعال"⁹، ارتبطت الحرية لديه بعاملين أساسيين هما الالتزام والمسؤولية. انطلاقاً من فكرة أنّ الإنسان يتمتع بالحرية، فإنّ وجوده يتجلى من خلال هذه الحرية. لذا، فإنّ أي اعتداء على حريته يُعتبر اعتداءً على وجوده، مما يدفعه بشكل تلقائي إلى اتخاذ قرار لاستعادة حريته.

تتطلب الحرية الالتزام والمسؤولية: فالالتزام يعني أنّ حرية الفرد مرتبطة بحرية الآخرين، فهي ليست حرية مطلقة تتيح للفرد التصرف كما يشاء دون اعتبار للآخرين. بل هي حرية واعية وملزمة، مثلما يقول مونتيسكيو: "تنتهي حريتي عندما تبدأ حرية الآخرين". أما المسؤولية فهي تعني أن يكون الفرد مسؤولاً عن اختياراته بإرادته الحرة، ولا يندم عليها بأي شكل من الأشكال. الحرية تُعتبر سمة لا يمكن التصرف بها للوعي، وسوء النية يمثل إمكانية مباشرة للحرية، بينما الأصالة تُعتبر نقيض سوء النية"¹⁰. وعليه، لا يوجد مكان للندم في فلسفة سارتر، حيث إنّ المسؤولية تؤدي إلى القلق الوجودي. هذه المسؤولية تجعل الإنسان يعيش في حالة من القلق لأنّه هو من يتحمّل عواقب أفعاله، ولا يمكنه الندم عليها. كما يوضح سارتر في هذا السياق: "عندما نقول إنّ الإنسان مسؤول عن نفسه، فإنّنا لا نعني أنّه مسؤول فقط عن ذاته، بل هو مسؤول أيضاً عن جميع الناس"¹¹. بمعنى أنّ الإنسان لا يعيش بمفرده، بل يتواجد مع آخرين. وقد يشعر أحياناً بأنّه يمتلك القدرة على اختيار القيام بفعل معين، ممّا يعني أنّ اختياره لهذا الفعل يؤثر على الجميع. وهذا يعزز شعوره بالمسؤولية تجاه حريته الأساسية. وبعد الشعور بالمسؤولية، يأتي الالتزام، والذي "يعني وجود واجب في التفكير في أمر ما للحفاظ عليه في الاعتبار"¹²، ولأنّه مسؤول عن أفعاله، فإنّ ذلك يحفزّه على الالتزام بهذا الفعل وكأنّه يتحمّل المسؤولية عنه أمام البشرية جمعاء. توجد مبادئ فرعية تدعم الفكرة الأساسية المتعلقة بالحرية، مثل رفض القيم المتوارثة. يتضمن ذلك

نبد أي قيم قد تقيد حريتنا، مثل الدين والأخلاق والعادات والتقاليد، إذ يعتبر سارتر أنّ هذه العوامل تمثل عوائق أمام حرية الإنسان وتحد من قدرته على التحرر.

تحدث سارتر أيضاً عن العلاقة بين الإنسان والآخر، حيث أطلق عبارته الشهيرة "الجحيم هو الآخرون"¹³. في تصور سارتر، يُعتبر الآخر خصماً وعدواً يراقب أفعالنا، فهو بمثابة القاضي والجلاد لأفعالنا، ويشكل عائقاً أمام حريتنا. ومن هنا، يرفض سارتر هذا الآخر ويعتبره تجسيداً للجحيم. تُعد هذه الفكرة من أبرز مفاهيم الفلسفة الوجودية التي تجلت في نصوصه المسرحية، حيث يعكس أدب سارتر ودراماه أفكاره من خلال الحوار الداخلي أو الخارجي للشخصيات، أو من خلال المواقف التي يختارها لهم، متضمناً فلسفته الوجودية دون التركيز الكبير على الأسلوب أو التقنية الفنية. كما يحمل سارتر المسؤولية للفرد، الذي ينظر إليه كإنسان يمتلك إرادة حرة تماماً في عالم حتمي يفتقر إلى المعنى "ويصل سارتر إلى محو البعد الدراماتيكي للعلاقة السرمدية للواقع الإنساني والوجود"¹⁴. ومن بين أهم المسرحيات التي طرح من خلالها فكره الوجودي هي مسرحية "الذباب" Les mouche أو "الندم" (1943) مأخوذة عن مسرحية "إلكترا" وهي مسرحية يونانية قديمة للكاتب اليوناني سوفوكليس Sophocle.

3. المسرح الوجودي عند جان بول سارتر:

هذا المسرح مرتبط بالفلسفة الوجودية التي تؤكد أنّ الوجود يسبق الماهية. وقد انتقد سارتر نظرية "الفن من أجل الفن"، معتبراً أنّ الفن التجريدي يفتقر إلى القيمة، مشيراً إلى ضيق الأفق والابتعاد عن الإلهام والتجديد. يرى أنّ الكتابة تمثل وسيلة للبحث عن الحرية، وأنّ فعل الكتابة يعد تعبيراً عن الالتزام، الكاتب يكتب بحرية ومسؤولية ليصل إلى جمهوره، وهذه المسؤولية تفرض عليه اتخاذ موقف واضح في كتاباته. وفقاً لرأيه، "الكاتب لا يتحدث إلى قراء عالميين، بل إلى جمهور في بلد معين، ولا يجد فائدة في الحديث عن الحرية بشكل مجرد، بل تكتسب الحرية معناها الحقيقي في سياق محدد"¹⁵. من هذا المنطلق، يرى سارتر

أنَّ الكاتب يحمل على عاتقه مهمة تغيير العالم من خلال الالتزام، وأنَّ الشخص المخلص هو من يشعر بالمسؤولية تجاه جمهوره، ويتوجب عليه أن يتصرف بموضوعية تجاههم. يمكننا أن نبدأ بوصف دراما سارتر الوجودية بأنها دراما الالتزام، حيث "تُعد الوجودية الطريقة الأكثر واقعية للتفاعل مع الواقع"¹⁶، وقد يمكن اعتبار مسرحية "الذباب" Les mouches أفضل تجسيد للالتزام في أعماله، حيث يتجلى هذا الالتزام بأشكال وجوانب متعددة، مما يجعله واضحاً في النص. وما قدمه سارتر في مسرحه الوجودي هو "توضيح لبعض الآراء المشوهة التي غالباً ما يروج لها خصوم الوجودية"¹⁷، والذين ينظرون إلى الوجودية على أساس أنها ليست تجديداً أو إبداعاً بل "محاكاة نسخة ثانية من الواقع مطابقة للفكرة المطلقة"¹⁸. لذا، نجد سارتر يولي اهتماماً كبيراً في كتاباته لمفهوم الوجودية، الذي يسلط الضوء على الفرد وكيانه، كصرخة لإنقاذه من الاستبداد والهيمنة. ويبرز أهمية القرار والالتزام والتعهد، بالإضافة إلى الحرية والعلاقة بين الحرية والمسؤولية، مما يجعلهما وجهين لعملة واحدة.

ومع ذلك، فإنَّ الالتزام في المسرح الوجودي لا يقتصر على هذا الجانب فحسب، بل يتجاوز ذلك ليشمل الالتزام الذي يظهر في السياق الزمني الذي تُكتب فيه المسرحية. في هذا السياق، يجب على الكاتب ألا يتناول الحرية بشكل تجريدي مطلق، بل يجب أن يتطرق أيضاً إلى حريته في مواقف معينة، ويعبر عن آرائه الفلسفية من خلال فنه الدرامي، الذي يعتبره أداة لمواجهة القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، خاصة عندما يكون الكاتب ملتزماً سياسياً مثل سارتر. إنَّ كتاباته تعكس التزامه الوجودي، "ومن دون أن يتحوّل أدبه إلى مجرد أداة للدعابة"، يجب أن نقول إنَّ "الفيلسوف الوجودي يفكر بانفعال عاطفي كمن اندمج كله في الوقائع الفعلية للوجود"¹⁹.

4. مسرحية الذباب Les mouches أو "الندم":

مسرحية تتناول عودة أورست إلى مدينة أرغوس، بعد أن هرب منها طفلاً عقب مقتل والده الملك أجاممنون على يد والدته الملكة كليتمنسترا، التي تأمرت مع عشيقها إجيست لقتله عند عودته من حرب طروادة بعد غياب دام عشر سنوات. في هذا السياق، تظهر

كليتمنسترا عدم التزامها بالمسؤولية، حيث اختارت مصيرها بنفسها وخانت زوجها دون اعتبار للعواقب الوخيمة لهذا الفعل غير المسؤول. وقد استخدم سارتر هذه الشخصية كرمز لضمير الإنسان المهووس بحب الذات، مما دفع أورست إلى الفرار خوفاً من أن يُقتل كونه الوريث الشرعي. بينما ظلت أخته إلكتر في المدينة، حيث عانت من معاملة سيئة، ونراها في بداية المسرحية واقفة أمام قبر والدها أجاممنون، متمردة على طقوس الندم التي فرضها الملك الجديد على الشعب، وتدعو الآلهة لعودة أخيها للانتقام.

وبالفعل، يعود أورست ليتعاون مع أخته في تنفيذ خطة الانتقام. حتى الآن، تتماشى مسرحية الذباب أو الندم لـ سارتر مع أحداث المسرحية اليونانية الأصلية إلكترا للكاتب اليوناني سوفوكليس. تتضمن أفكار سارتر الوجودية بعض الاختلافات والإضافات، كما يتجلى في مسرحيته الذباب، التي تمثل رمزاً للندم الذي يتغذى على أرواح سكان مدينة أرغوس، الذين يعيشون في عذابهم كنوع من التكفير عن ذنوبهم. ويصف سارتر هذا الوضع بأنه "ذروة لموقف وجودي"، حيث تعكس المعاناة الإنسانية حقيقة الحياة التي تعتبر جحيماً، بينما الهروب منها يعني الوصول إلى العدم.

عندما يعود أورست إلى مدينة أرغوس، يجد الذباب يحيط بها من كل جانب، وينقض على كل شخص يمر، مما يعكس عبثية وجود أسراب الذباب في المدينة. ويقول المربي: "في رأيي، ذباب الدراج الأسود أكثر ضيافة من البشر. انظر إلى هذا! (يشير إلى عيون الأبله) في عينيه اثنتا عشرة ذبابة... كما لو أنه يجب أن تمص عينيه"²⁰، ويرى سارتر أنّ "هذه الدراما المؤلفة من سلسلة من العلامات والرموز ليست إلا مرآة تعكس أفكار الفنان"²¹، استغل سارتر الأجواء الاحتفالية المعروفة بيوم التكفير، الذي يحتفل به شعب أرغوس للتعبير عن ندمهم على مقتل ملكهم أجاممنون. ويعتبر سارتر أنّ هذا الندم يمثل قوة دافعة نحو الحرية، مما يسهم في بناء الفعل الدرامي لمسرحيته. يتضمن هذا الندم جميع التقاليد الأسطورية، مثل الاستعداد لاستقبال أرواح الموتى، والبكاء المصحوب بالندم، والسعي نحو الخلاص في أزيز الذباب. ومن وجهة نظر سارتر، فإنّ هذه الاحتفالية تمثل رمزاً للعبودية

والخنوع، حيث يكشف من خلالها عن السخافات والأوهام والرهينة. في مشهد يجمع بين **إجست** و**كليتمنسترا**:

إيجست: دعيني أيتها الفاجرة ألا تخجلين؟ تحت بصره؟

كليتمنسترا: تحت بصره؟ من ذا الذي يرانا؟.

إجيسست: الذي يرانا؟ الملك. لقد أطلق الأموات هذا الصباح.

كليتمنسترا: مولاي ... أتوسل اليك ... إنَّ الأموات تحت الأرض ولن يزعجوننا في هذا الوقت المبكر. هل نسيت أنك نفسك اخترعت هذه الخرافات للشعب؟²². ليتضح لنا أنَّ **إجست** هو مبتكر الأكاذيب ومفبرك الأساطير بهدف السيطرة على عقول الناس واستغلالهم، والتأثير على مشاعرهم ونفوسهم، وزرع الخوف في قلوبهم من خطر متخيل يتمثل في خروج الأموات من الكهف إذا لم يطيعوه ويستجيبوا لأوامره. إنَّها خدعة أعدها **إجست** وأتباعه من الكهنة، حيث يظهر الكاهن الأكبر مخاطبًا الأموات بعد أن أزال الحراس الصخرة قائلاً: "أنتم، المنسيون، المهجورون، الذين انتهت أوهامهم وأحلامهم، أنتم الممددون على الأرض في الظلام، كأنكم أشباح، ولا تملكون سوى حزنكم العميق. أنتم الموتى، واقفين، فهذا هو عيكم! تعالوا، اصعدوا من الأرض كدخان كثيف من الكبريت تطرده الرياح، اصعدوا من أعماق العالم... تعالوا لترووا حقدكم على الأحياء!... انظروا، ها هم الأحياء هنا، الفريسة السمينة الحية..." (قرع الطبول. يرقص أمام مدخل الكهف، يبدأ ببطء ثم يزداد سرعة حتى يسقط منهكاً)²³.

وقد أضاف الكاتب إلى المسرحية شخصية **جوبيتر الإله**، التي لم تكن موجودة في النسخة الأصلية **إلكترا**. كما قام سارتر بتجريد الإله من جميع الصفات التي تستحق التقديس أو حتى الاحترام، حيث وصفه شخصياته بأنَّه إله الموت وإله الذباب، وغيرها من الألفاظ المهينة. في أحد المشاهد، تهاجم **إلكترا** هذا الإله قائلة: "قدارة! يمكنك أن تنظر إلي، هيا، في وجهك الملطخ بعصير الفراولة، بعينيك المستديرتين... أيها الفزاعة... لكن يمكنني أن أبصق عليك، هذا كل ما يمكنني فعله"²⁴. كما كان لـ **إلكترا** دور بارز في تحفيز شعب أرغوس من خلال خطابها المؤثر، حيث دعته إلى الثورة ليس فقط للانتقام لمقتل والدها، بل أولاً وقبل كل شيء من أجل الحرية. كانت تدرك تمامًا أنَّ شعب أرغوس يشعر بالاستياء

تجاه ملكهم الظالم، وكانوا بحاجة إلى من يثير مشاعرهم المليئة بالغضب والشفقة، ويعيد إليهم ذكرياتهم، ويبعث فيهم روح الأمل لاستعادة حياتهم المسلوقة التي كانت مبنية على الخرافات. "فمصير الإنسانية بأسره معلق بخيط رقيق من الأمل، الأمل في الحرية، والأمل في الإنسان، كما قال سارتر، يمكننا بنفس الحجارة أن نبني قبرًا للحرية، أو نشيد لها معبدًا"²⁵.

يتجلى مبدأ الحرية الذي يسعى إليه سارتر في مشهد تتحدث فيه إكترا قائلة: "الطقس جميل. في كل مكان، على السهل، هناك رجال يرفعون رؤوسهم ويقولون: (الطقس جميل) وهم يشعرون بالسعادة. أيها الجلادون، هل نسيتم ذلك الرضا البسيط للفلاح الذي يسير على أرضه ويقول: (الطقس جميل)؟ ها أنتم هنا، بأنزعكم المتدلية ورؤوسكم المنخفضة... لكن انظروا إليّ: أمد ذراعي، وأفتح صدري... انظروا، أنا أرقص. لا أشعر بشيء سوى نسيم الريح في شعري. أين هم الأموات؟"²⁶، هذا ما دفع إجست لطردها من المدينة بدلاً من قتلها، حيث أنه يتجنب القتل في هذا اليوم المقدس. وفي هذا السياق، يشير سارتر إلى مدينة مغايرة - كورنثيا - التي تخيلها أورست في ذهن أخته إكترا خلال لقائهما الأول. تتميز كورنثيا بالنور والفرح والسعادة، فهي مدينة تعيش في حرية ولا تعرف العبودية، كما يتجلى ذلك في الحوار الذي دار بينهما.

"إكترا: يتآكلني الحقد. وما الذي يفعلنه طوال النهار، فتيات كورنثيا؟

أورست: إنهن يتزينّ، ثم يغنّين أو يعزفن على المزاهر، ثم يزرن صديقتهن. وفي المساء يذهبن إلى المرقص.

إكترا: وليس لديهنّ أي همّ؟

أورست: إنّ لهن هموما صغيرة جدا.

إكترا: آه؟ أسمعني: هل يشعر سكان كورنثيا بأي ندم؟

أورست: أحيانا، ولكن ليس دائما"²⁷.

تُعتبر مقارنة سارتر تجسيداً للتحرر الذي تسعى إليه فلسفته الوجودية المتقائلة. فهي تُعبر عن تقاؤل عميق، إذ ترى أنّ مصير الإنسان يعتمد على اختياراته الخاصة، وتؤكد أنه لا أمل سوى من خلال أفعاله²⁸.

يتجسد الإله جوبيتر أمام أورست في البداية ليمنعه من الانتقام، لكن أورست يرفض ذلك تمامًا، حيث لا يرضى بأن يكون جوبيتر عائقاً أمام حريته. ويعبر عن ذلك بقوله: "أنا لست سيِّداً ولا عبداً، بل أنا حُرّيتي"²⁹. هنا يتجلى مبدأ الحرية المطلقة التي لا يمكن لأي قوة، حتى لو كانت إلهية مثل جوبيتر، أن تعارضها. فالإنسان يتحمّل المسؤولية الكاملة عن اختياراته التي اتخذها بحرية كاملة، دون أن يشعر بالندم. بعد أن حقق أورست رغبته في الانتقام، يظهر له جوبيتر مرة أخرى، مطالباً إياه بالندم، حيث يقول له: "إلهك يأمرك بالندم". فيرد أورست: "أنت إله الصخور والأمواج والبحار، لكنك لست إله الإنسان". فيجيب جوبيتر: "لست ملكك، أيها الدودة الخالية من الفطنة، لكن من الذي خلقك؟". فيرد أورست: "أنت. لكن كان يجب أن لا تخلقني حرّاً"³⁰.

يمكننا القول إنّ مبدأ الالتزام كان جلياً في موقف أورست الأخير في ختام المسرحية، حيث خاطب جموع أرغوس مؤكداً أنه مخلصهم. وقد تحمّل على عاتقه وعد الانتقام وتحرير مدينة أرغوس وشعبها من حياة الندم والتكفير عن خطاياهم التي عانوا منها لسنوات طويلة. قال: "يا أهل أرغوس، انظروا إليّ وستفهمون أن جريمتي تخصني وحدي؛ وأنا أواجه بها الشمس، فهي سبب حياتي وكبريائي. لا يمكنكم أن تعاقبوني أو ترحموني، لذا أنتم تخافون مني. ومع ذلك، فأنا أحبكم يا أتباعي، وسأموت من أجلكم..."³¹.

يمكن تفسير ذلك وجودياً بأن الحرية التي نادى بها أورست (حرية الذات) تنبع من تصرفاتنا وقدرتنا على اتخاذ القرارات، وهي متأصلة في طبيعتنا وجوهر الإنسان. لذا، فإنّ القلق والخوف المرتبطين بالحرية يُعتبران أحد أشكال هذه الحرية.

برر سارتر بشكل أساسي ادعاءاته الجريئة حول الحالة الإنسانية، وقيم الحرية والأصالة، وطبيعة الشر. فقد تمكن الفيلسوف من إدارة المعركة بحكمة وذكاء، حيث استطاع أن يحوّل مسرحيته إلى لغم ينفجر في قلب حكومة النازي، ومنشور ثوري يُوزع على سكان باريس. كانت فرحة الكاتب سارتر واضحة عندما عاد من الأسر ليحتضن معبودته باريس،

حيث قال: "مرّ الليل وطلع الفجر، وتحررنا يا إكتر، يبدو لي أنّي وهبتك الميلاد، وأنني لم أولد إلا لأكون معك، إنني أحبك وأنت لي"³². كما أظهر منهجه أنّ كل جانب أساسي من جوانب الواقع الإنساني مرتبط ارتباطاً وثيقاً ببعضه البعض.

تمثل مسرحية "الذباب" تجسيداً للواقع القاسي الذي عاشه الشعب الفرنسي تحت نير الاستعمار النازي. وقد أوضح سارتر أنّ مأساة الإنسان في العصر الحديث تختلف تماماً عن تلك التي كانت في الماضي، حيث كان الإنسان يكافح ضدّ القدر والآلهة التي تتحكم في مصيره. أما اليوم، تتمثل المأساة في الصراع الداخلي الذي يعيشه الإنسان، وهو صراع يسعى من خلاله إلى التحرر من جميع القيود. لذا، تدعو مسرحية "الذباب" إلى "مقاومة الذات وتطهير النفس من الداخل". فرحة التحرير التي اجتاحت باريس بعد انتهاء الاحتلال النازي كانت في جوهرها فرحة النصر. ولكن، إذا كنا قد نلنا حريتنا، فما الذي يجب علينا فعله بهذه الحرية؟ وبالتالي، فإنّ الإنسان محكوم بالحرية والمسؤولية، في غياب القدر أو الآلهة أو أي مشيئة غيبية. هنا، يُفترض بالإنسان أن يكون حراً ومسؤولاً، وعليه أن يختار لنفسه ويصنع هويته.

خاتمة:

يمكننا أن نستنتج أنّ كل شخص لديه القدرة على تشكيل حياته وهويته وفقاً لفكر سارتر. ولذلك تُعتبر مسرحية "الذباب" تجسيداً لصحة فكرية تعارض النظام النازي الذي ألحق الضرر بفرنسا وأضعف قواها. إذ تُعد هذه المسرحية واحدة من أبرز الأعمال التي أظهر فيها سارتر التزامه بأفكاره الفلسفية وموهبته في الكتابة الدرامية، بالإضافة إلى التزامه الأخلاقي في مواجهة الأزمات الإنسانية المعاصرة بأسلوب درامي مميز. تمثل مسرحية "الذباب" جسراً ينقل أفكاره حول الالتزام والحرية والمسؤولية. كما يعكس إبداعه الأزمات السلوكية التي يواجهها الإنسان، مثل أزمة الضمير وأزمة تقرير المصير الناتجة عن التردد

في اتخاذ القرارات، وغياب روح المسؤولية وعدم الالتزام. من خلال مسرحيته، يقدم سارتر عناصر تحفز المتلقي على التفكير والتأمل، وتوجهه نحو اتخاذ قراراته بحرية. ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، نذكر:

- تُعتبر مسرحية "الذباب" للكاتب سارتر واحدة من الأعمال الرئيسية في القرن العشرين، حيث يعبر من خلالها عن فلسفته الوجودية التي تبرز أهمية الوجود الفردي، والاختيار، والمسؤولية. كما يتناول في هذه المسرحية ردوده على منتقديه، بما في ذلك الكاثوليكين والماركسيين.
- حافظ جان بول سارتر على قدسية مسرحية الكترا اليونانية، مع إجراء بعض التعديلات، حيث تم تغيير العنوان إلى "الذباب" بدلاً من "الكترا"، بالإضافة إلى إضافة شخصية جوبيتر.
- يقسم سارتر الوجودية في مسرحيته إلى نوعين: الأول هو الوجودية المؤمنة التي تتمحور حول الإله، مثل الإله جوبيتر، والثاني هو الوجودية الملحدة التي تنطلق من مفهوم العدم، ويمثلها سارتر نفسه.
- جسد سارتر مبادئ الوجودية من خلال شخصيته الرئيسية أورست.
- قام سارتر بنقل مسرحية الكترا اليونانية من سياقها الأصلي، وطرحها في إطار واقع المجتمع الفرنسي الذي كان تحت الاحتلال النازي، وذلك في شكل عصري.
- يعتبر جان بول سارتر واحدًا من الكتّاب المبدعين الذين أضفوا لمسة فنية على المسرح من خلال توظيف الفكر الفلسفي الوجودي، وتأثيراته على المجتمع الفرنسي بشكل خاص والمجتمعات الأخرى بشكل عام.

الهوامش:

¹ جون ماكوري، الوجودية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، الكويت، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1986، ص. 85-86

² جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ط. 1، تر: عبد المنعم الحفني، القاهرة، مطبعة الدار المصرية، 1964، ص. 9.

- ³ المرجع نفسه، ص.7.
- ⁴ جون ماكوري، الوجودية، مرجع سابق، ص.12.
- ⁵ توماس آر فلين، الوجودية مقدمة قصيرة جدا، تر: مروة عبد السلام، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط.1، 2014، ص.21-22.
- ⁶ المرجع نفسه، ص.21.
- ⁷ المرجع نفسه، ص.21.
- ⁸ جون ماكوري، الوجودية، مرجع سابق، ص.12.
- ⁹ جان بول سارتر، من الوجودية إلى العبث، تر: جلال العشري، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية، 2019، ص.12-13.
- ¹⁰ Gary Cox, Sartre and Fiction (A&C Black, 2009), p. 13.
<https://www.bloomsbury.com/uk/sartre-and-fiction-9780826423184/>
- ¹¹ جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، مرجع سابق، ص.16.
- ¹² جان بول سارتر، من الوجودية إلى العبث، تر: جلال العشري، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية، 2019، ص.120.
- ¹³ مارتن هايدجر، الفلسفة، الهوية والذات، تر: محمد مزيان، ط.1، تونس، كلمة للنشر والتوزيع، 2015، ص.18.
- ¹⁴ جان بول سارتر، الوجودية منزع إنساني، تر: محمد نجيب عبدالمولى، تونس، دار محمد علي للنشر، ط.1، 2012، ص.12.
- ¹⁵ جان بول سارتر، ما الأدب؟، تر: محمد غنيمي هلال، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص.70.
- ¹⁶ جان بول سارتر، الماركسية والوجودية، تر: جورج طرابيشي، بيروت، دار اليقظة العربية، 1964، ص.33.
- ¹⁷ جون ماكوري، الوجودية، مرجع سابق، ص.6.
- ¹⁸ مارتن هيدغر، في الفلسفة والشعر، ط.1، تر: عثمان أمين، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1963، ص.30.
- ¹⁹ جون ماكوري، الوجودية، مرجع سابق، ص.12.
- ²⁰ جان بول سارتر، مسرحيات، تر: سهيل إدريس، بيروت، منشورات دار الآداب، ص.9.
- ²¹ جان بول سارتر، من الوجودية إلى العبث، مرجع سابق، ص.131.

- ²² جان بول سارتر، تر: سهيل إدريس، مسرحيات، مرجع سابق، ص.63.
- ²³ المرجع نفسه، ص.40.
- ²⁴ المرجع نفسه، ص.22.
- ²⁵ جان بول سارتر، تر: جلال العشري، من الوجودية إلى العبث، مرجع سابق، ص.23.
- ²⁶ جان بول سارتر، تر: سهيل إدريس، مسرحيات، مرجع سابق، ص.45.
- ²⁷ المرجع نفسه، ص.27.
- ²⁸ جان بول سارتر، الوجودية منزع إنساني، مرجع سابق، ص.61.
- ²⁹ جان بول سارتر، من الوجودية إلى العبث، تر: جلال العشري، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية، 2019، ص 23.
- ³⁰ جان بول سارتر، مسرحيات، تر: سهيل إدريس، مرجع سابق، ص.90.
- ³¹ المرجع نفسه، ص.90.
- ³² المرجع نفسه، ص.100.

قائمة المراجع:

الكتب:

- سارتر جان بول، الوجودية مذهب إنساني، ط.1، تر: عبد المنعم الحفني، القاهرة، مطبعة الدار المصرية، 1964.
- سارتر جان بول، من الوجودية إلى العبث، تر: جلال العشري، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية، 2019.
- سارتر جان بول، الوجودية منزع إنساني، تر: محمد نجيب عبدالمولى، تونس، دار محمد علي للنشر، ط.1، 2012.
- سارتر جان بول، ما الأدب؟، تر: محمد غنيمي هلال، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1947.
- سارتر جان بول، الماركسية والوجودية، تر: جورج طرابيشي، بيروت، دار اليقظة العربية، 1964.
- سارتر جان بول، مسرحيات، تر: سهيل إدريس، بيروت، منشورات دار الآداب.
- فلين توماس آر، الوجودية مقدمة قصيرة جدا، ط.1، تر: مروة عبد السلام، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014.
- مارتين هيدغر، في الفلسفة والشعر، ط.1، تر: عثمان أمين، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1963.

- ماكوري جون، الوجودية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، الكويت، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1986.

المواقع الإلكترونية:

-Gary Cox, Sartre and Fiction (A&C Black, 2009.

<https://www.bloomsbury.com/uk/sartre-and-fiction-9780826423184/>

Bibliography:

Books:

- Flynn Thomas R., Existentialism: A Very Short Introduction, Trans. Marwa Abd al Salam, Egypt, Hendaoui Institution for Education and Culture, 1st Edition, 2014. (In Arabic)
- McCurry Jean, Existentialism, Trans: Imam Abdel Fattah Imam, Kuwait, Culture House for Publication and Distribution, 1986. (In Arabic)
- Sartre Jean Paul, Existentialism as a Human Creed, Trans: Abdal Munim Al-Hafni, Cairo, The Egyptian House, 1st Edition, 1964. (In Arabic)
- Sartre Jean Paul, Existentialism as a Human Nature, Trans: Mohamed Najib Abdal Mawla, Tunisia, Mohamed Ali house for publication, 1st Edition, 2012. (In Arabic)
- Sartre Jean Paul, What is Literature?, Trans: Mohamed Gheneimi Hilal, Cairo, Dar Al-Alnahdda for Printing and Publication. (In Arabic)
- Sartre Jean Paul, Marxism and Existentialism, Trans: Georges Tarabichi, Beirut, Dar Al-Yaqada Al-Alarabiya, 1964. (In Arabic)
- Sartre Jean Paul, Plays, Trans: Souhil Idriss, Beirut, Dar Al-Addab Publications. (In Arabic)
- Heidegger Martin, Philosophy and Poetry, Trans: Othman Amine, Cairo, National House for Printing and Publication, 1st Edition, 1963. (In Arabic)

Website:

- Gary Cox, Sartre and Fiction (A&C Black, 2009.
<https://www.bloomsbury.com/uk/sartre-and-fiction-9780826423184/>